

من البراءة إلى الخطر

كان لاندفاع أكثر شرائح الطبقة المتوسطة راديكالية إلى سطح الحياة السياسية والاجتماعية منذ منتصف القرن دور مهم في تغيير أنماط الحياة في إطار هذه الإصلاحات والرؤى المتجددة على كافة المستويات. مثلت هذه الطبقة نفسها جيداً من خلال رواد حركة الشعر الحر الذين أنثروا الحياة بهذا المنطق الشعري الذي يعبر عن الذات الجماعية بدلاً من الذات الفردية المحدودة، والذي طرح كل هذه الإضافات اللغوية والموسيقية والبنائية، وأصبحت القصيدة شخصية مندمجة وملتحمة وحية يخترق شكلها ومضمونها أحدهما الآخر بحيث لا يمكن فصلهما وكانت مرحلة الشعر الحر هي المرحلة التي انتصر فيها البيت الحر انتصاراً ساحقاً وشهدت التجربة التنوع المتكاثر وتعرفنا إلى قصيدتين جديدتين في الشعر العربي هما : القصيدة العملاقة في طولها، وكذلك المكرو قصيدة أو القصيدة المفرطة في قصرها.

وكان للمضمون الشعري في هذه الفترة أن يتجادل مع الواقع ومع حركة الفكر فيه، وتردد العقل العربي بين ماضى تليد من جهة وحضارة أوربية متقدمة من جهة أخرى.

لقد أثرى النقاد باختلاف مشاربهم وتوجهاتهم ساحتنا الثقافية بدراسات متعددة عن هذه المرحلة المهمة في حياتنا الشعرية، مرحلة الشعر الحر لما لها من أهمية خاصة ولكونها شكلت القسمة الأولى من قسومات الشعر العربي المعاصر ودراسة الدكتور صلاح فضل لهذه المرحلة تعد في طليعة هذه الدراسات فهي مستفيدة من المناهج البنوية والحديثة بحيث نتعرف من خلالها على تصور ناضج ممنهج يتجاوز الأشكال الانطباعية والصحفية التي أغرقت الحياة الثقافية على مدى زمني كبير.

إن أهم ما يمكن الإشارة له قبل الغوص في استعراض ملامح تصورنا هو أن هذه الملامح تم استخلاصها من عدد كبير من البحوث والدراسات والمقالات المنشورة وأهمها كتبه الثلاثة "أشكال التخيل" و "انتاج الدلالة الأدبية" و "أساليب الشعرية المعاصرة" وعلى الرغم من تعدد